الخطايا الأمهات

الخطايا الأمهات هي خطايا كبيرة تلد العديد من الخطايا. بحيث لو انتصرنا علي الخطية الأم. لأمكن أن ننتصر بالتالي علي ما يجوز أن تلده من خطايا.
فما هي هذه الخطايا الأمهات؟ وما هي أولاد كل منها؟

الذات

الذات هي من أشهر الخطايا الأمهات. والإنسان المتمركز حول ذاته. ما أسهل وقوعه في الكثير من الخطايا.. لذلك كان من أهم الفضائل التي تقي من ذلك:
فضيلة إنكار الذات.

الانسان - بسبب الاهتمام بالذات - قد يقع في الإعجاب بالذات. وفي محبة المديح. والرغبة في أولوية ذاته. وفي محاولة تغطية الذات زورا في كل خطأ والدفاع عنها. بل يقع أيضا في إشباع الذات. وسهل أن يصل إلي عبادة الذات!!

***

والذي يهتم بأولوية ذاته. وتفضيلها علي الآخرين:
هذا يفقد الإتضاع. ويحب المتكآت الاولي في كافةالإجتماعات ولا يستطيع مطلقا أن يكتسب الفضيلة التي تقول "مقدمين بعضكم بعضا في الكرامة. بل هو يزاحم الناس وينافسهم في كل مكان. وحول كل مكانة. ويحاول أن ينزعهم من مراكزهم. لكي يحل هو فيها. كذلك قد يقاطع غيره في الكلام. ليتكلم هو!
وقد يجره كل هذا إلي الإساءة الي كل من يعترض طريقه. أو من يظن أنه منافس له. أو من يتحدث الناس عنه بالخير أكثر منه. ويقع في إدانة هؤلاء والحط من قدرهم.

إن محبته لأولوية ذاته. توقعه بلا شك في الغيرة والحسد. وفي كل نتائج هاتين الخطيتين..

***

ومحبته لذاته تجعله يبرر ذاته في كل أخطائها. ولا يقبل نقدا يوجه اليه. وقد يثور ويغضب لمجرد ملاحظة قيلت عن تصرفاته. وربما في دفاعه عن نفسه. يلصق الخطأ بغيره ظلما وإدعاء. وفي دفاعه عن نفسه. قد يجره ذلك الي الكذب لكي يظهر بريئا. وقد ينتحل أعذارا هي جانبية جدا وليست السبب الحقيقي الذي يستند إليه في عذره. كما قد تكون مختلقة!

وهكذا فإنه في تبريره لذاته - الذي هو جزء من محبة الذات - يقع في خطايا كثيرة..

وتصبح المناقشة مع مثل هذا الشخص متعبة للأعصاب. لأنه لا يهدف إلي إظهار الحق. إنما الي إظهار برّه هو. والتغطية علي نفسه.. وهكذا يلجأ الي الملاججة. أو بالتعبير العامي الي "المقاوحة". أو إلصاق العيب بغيره. أو بالمجتمع كله. أو بالأنظمة الموضوعة..

***

وإن كان من مظاهر الاهتمام بالذات. الرغبة في إشباع الذات.. فما أسهل أن يشبعها بطرق خاطئة : مادية أو جسدية!

وهكذا يقع في محبة العالم وشهواته. ويتشبه بذلك الذي قال: "... ومهما اشتهته عيناي. لم أمسكه عنهما"!!
كذلك يقع في شهوة المال. وشهوة المقتنيات. وفي شهوة الجسد. وكل هذه الشهوات قد تجره الي طرق خاطئة عديدة للحصول عليها. منها التحايل. ومنها الطمع. ومنها الخروج علي القانون وعلي العرف وكل مبادئ القيم والأخلاق..
وتكون طريقة إشباعه لذاته خطية. ووسائل الوصول إلي هذا الإشباع خطايا اخري. وفي كل ذلك يفقد روحياته..

***

والذي يريد أن يشبع ذاته. عمليا سوف لا يشبع..!

وكما قال سليمان الحكيم "العين لا تشبع من النظر. والأذن لا تمتلئ من السمع" كل الأنهار تجري إلي البحر. والبحر ليس بملآن". وبهذا يكون الشخص الذي يهدف إلي إشباع ذاته. إنما يقضي عمره في تعب باطل. لأنه لا يلجأ في محاولة إشباع الذات الي طرق روحية سليمة.. فمن يشرب من هذا الماء. يعطش أيضا. وإذ يعطش. يشرب مرة أخري.. وهكذا الي غير نهاية..!!

***

وإن أراد أن يشبع نفسه بشئ عند غيره. يقع إما في الحسد. أو في الغيرة. أو في التحايل. أو في الفساد

إن امرأة سيدنا يوسف الصديق: أرادت أن تشبع ذاتها بطريقة خاطئة لم يوافق عليها يوسف. فلجأت الي الكذب والادعاء. وإلصاق تهمة ظالمة بذلك الرجل البار جرّت عليه مشاكل متعددة. والذي - في سبيل إشباع ذاته - يقع في الحسد. ما أسهل أن يجره الحسد إلي جرائم كثيرة في سبيل التخلص من المحسود. أو من أجل الحصول علي ما يحسده عليه.

***

والذي يحب ذاته. وإشباعها بطريقة خاطئة في تحقيق شهواتها..

هذا قد يصطدم بالله نفسه. مادام يري أن وصايا الله تقف ضد شهواته هو!

وهكذا كان الفكر الوجودي الملحد الذي ينادي بأنه "من الأفضل أن الله لا يوجد. لكي أوجد أنا"!! بهذا الفكر رفض الوجوديون وجود الله. وأضلوا كثيرين.. كذلك لا شك أن الذي يحب إشباع ذلك. يرفض مبدأ "ضبط النفس" الذي يدعو إليه الدين. وتدعو إليه مبادئ الأخلاق وعلم الاجتماع. ويفضل أن يعيش في حياة اللهو والمتعة واللذة. بكل ما تحمل من خطايا لا داعي لذكرها..

***

والذي يحب ذاته وشهواتها. من الصعب أن يصل إلي التوبة

فهو لا يدين نفسه ولا يلومها. ولا يعترف بأنه مخطئ. وبأن حياته يجب أن تتغير. ليترك ما هو فيه من أخطاء.. إنه يحب تلك الخطايا والأخطاء التي يجب أن يتركها بالتوبة.

إنه في محبته لذاته وشهواتها. يحيا حياة التسيب وعدم الانضباط . وحياة الفضيلة صعبة عليه. وكلمة التوبة لا توجد في قاموسه العملي! وبالتالي لا يؤمن بضبط الفكر. ولا بضبط اللسان. ولا بضبط عواطف القلب.. كل هذه الأمور ضد شهواته وضد حريته..!

السبب في كل ذلك. أنه يحب ذاته محبة خاطئة. ولا يفكر في ذاته من جهة مصيره الأبدي ووقوفه أمام الله في يوم الدين!

***

والذي يحب ذاته بهذه المحبة الخاطئة قد ينتقم ممن أساء اليه

أو ممن يظن أنه قد أساء إليه.. ويرد الإساءة بمثلها أو أكثر. ويقع في الغضب والنرفزة. ويكسر كل الوصايا الخاصة بالوداعة والتسامح. وبالهدوء والاتضاع وطول البال.. وفي ذهنه أن كرامته قد جرحت. فيجب أن يرد اليها اعتبارها مهما كانت الوسائل!!

***

أرأيتم أيها القراء الأعزاء. كم عدد الخطايا التي ذكرناها كمثال لما انجبته خطية واحدة من الخطايا الأمهات. هي محبة الذات..

فعلي الواقعين في هذه الخطية أن يدركوا ما هي المحبة الحقيقية للذات. التي تهدف إلي تنقية الذات. وتحريرها من العيوب والأخطاء. ومن الضغنات والعادات الرديئة. لكي تعود هذه النفس إلي ما يجب أن تكون عليه من مثالية وإشراق. وتعد ذاتها لأبديتها..

***

هناك خطية أخري من الخطايا الأمهات وهي الكبرياء

الكبرياء

وتشمل هذه الخطية: الكبرياء في الفكر. وفي القلب. ومظاهرها في الجسد.

في الفكر: بأن يكون الشخص حكيما في عيني نفسه. وبارا في عيني نفسه!

وهذا لون من الغرور والخيلاء.. وأيضا يفكر باستمرار أنه أعلي وأفضل من غيره. أو يفكر في الوصول إلي مستوي أعلي من الكل !_بحيث لا يكون مثله أي أحد ممن يحيطون به..

والذي يكبر فكره هكذا. قد يصل إلي صلابة الرأي:

فلا يستطيع أن يتنازل عن رأيه. مهما ثبت خطأ هذا الرأي!.. ويتعالي في فكره علي غيره. ويصبح من الصعب جدا أن يدخل أحد في حوار معه..

وقد يعجب بنفسه. كلما يأتي بفكر جديد يميزه علي غيره. حتي لو كان بدعة!! وكل الهراطقة والمبتدعين الذين عرفهم التاريخ كانوا مصابين بالكبرياء التي بها لم يستطيعوا التنازل عن البدع فثبتوا فيها..

وصدق عليهم قول سليمان الحكيم "قبل الكسر الكبرياء. وقبل السقوط تشامخ الروح".

***

أما سقوط القلب في الكبرياء. فهو أن يتحول فكر الكبرياء إلي شهوة أو رغبة في القلب تختلط بمشاعر الانسان.

وقد تصبح سببا لأفكار كبرياء جديدة. ومصدرا للسعي وراء تمجيد الناس.

وهناك كبرياء اخري تظهر في الجسد. نتيجة لكبرياء القلب: تظهر في شكله وملامحه وحركاته. وفي طريقة مشيه وطريقة جلوسه. وأسلوب نطقه وحديثه وإشاراته. كل ذلك في عظمة وشموخ أنف. وخيلاء وتباه وأعجاب بالذات.

وهذا ما يسميه العامة "بالنفخة الكذابة". بحيث يكلم الناس من فوق. ويعاملهم بلون من التعالي. وقد لا يرد علي حديث البعض منهم. أو يرد بمجرد إيماءة أو كلمة واحدة.
فيكون في كلامه كبرياء. وفي صمته كبرياء.

***

وقد تصل الكبرياء الي احتقار الآخرين وإلي إساءة معاملتهم

كما تصل الي التمايز العنصري. مثلما عومل السود من الأجناس البيضاء.. وقد يقول البعض لغيره في كبرياء "يلزمك أن تعرف من أنا؟ ومن أنت؟ ومع من تتكلم؟" وما أعمق أن يكون الرد علي مثل هذا الكلام "أنا وأنت من تراب. والي التراب نعود".

وتقود الكبرياء الي عدم الاحتمال والي حساسية شديدة نحو الكرامة..

بحيث أن أقل كلمة يمكن أن تسئ الي هذا المتكبر. وأبسط تصرف يؤدي به الي الثورة والهياج والأنتقام. وتصبح أعصابه مرهفة جدا ومترفهة جدا.. ويمكن أن الحساسية الشديدة نحو الكرامة تقود إلي الكبرياء في محيط الأسرة. وإلي سهولة الانتهار والتوبيخ لأتفه الأسباب. والي طلب طاعة مطلقة بدون نقاش. مهما كانت الأوامر صعبة التنفيذ!

***

وكثيرا ما نسمع المتكبر يقول "أنا الكبير. أنا المسئول. أنا صاحب الكلمة الأولي والأخيرة"!!

وبهذا كله. يصبح من الناحية الاجتماعية شخصا غير مقبول. لأن عجرفته تنفر الناس.
وتبعدهم عن التعامل معه..

وما أكثر الخطايا التي تلدها الكبرياء. بل ما أشد نتائجها: يكفي أنه بالكبرياء تبعد نعمة الله علي المتكبر. فيسقط لأنه لا توجد قوة تسنده من فوق. ولأن كل نجاح له ينسبه إلي نفسه. لا إلي النعمة العاملة معه. فيزيده النجاح كبرياء فوق كبرياء..

***

خطايا أخري:

هناك خطايا أمهات أخري. مثل الكراهية والكذب وغيرهما ولكن المجال في هذا المقال لا يتسع لهما ولغيرهما الآن.